

تفسير البحر المحيط

@ 175 قوله : إن يتبعون التفاتاً ، إذ هو خروج من خطاب إلى غيبة . .

{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا }

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ : هذا تنبيه منه تعالى على عظيم قدرته وشمول نعمته لعباده ، فهو المستحق لأن يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من الحركة والتردد في طلب المعاش وغيره بالنهار ، وأضاف الأبصار إلى النهار مجازاً ، لأن الأبصار تقع فيه كما قال : .

ونمت وما ليل المطي بنائم .

أي : يبصرون فيه مطالب معاشهم . وقال قطرب : يقال أظلم الليل صار ذا ظلمة ، وأضاء النهار وأبصر أي صار ذا ضياء وبصر انتهى . وذكر علة خلق الليل وهي قوله : لتسكنوا فيه ، وحذفها من النهار ، وذكر وصف النهار وحذفه من الليل ، وكل من المحذوف يدل على مقابله ، والتقدير : جعل الليل مظلماً لتسكنوا فيه ، والنهار مبصراً لتحركوا فيه في مكاسبكم وما تحتاجون إليه بالحركة ، ومعنى تسمعون : سماع معتبر . .

قالوا اتخذوا ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على ما لا تعلمون . قل إن الذين يفترون على الكذب لا يفلحون . متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون { : الضمير في قالوا عائد على من نسب إلى الولد ، ممن قال الملائكة بنات الله ، أو عزيز ابن الله ، أو المسيح ابن الله ، وسبحانه : تنزيهه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك ، هو الغني علة لنفي الولد ، لأن اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه ، والله تعالى غير محتاج إلى شيء ، فالولد منتف عنه ، وكل ما في السموات والأرض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد . وأن نافية ، والسلطان الحجة أي : ما عندكم من حجة بهذا القول . قال الحوفي : وبهذا متعلق بمعنى

الاستقرار يعني : الذي تعلق به الطرف . وتبعه الزمخشري فقال : الباء حقا أن تتعلق بقوله : إن عندكم على أن يجعل القول مكاناً للسلطان كقولك : ما عندكم بأرضكم نور ، كأنه قيل : إن عندكم فيما تقولون سلطان . وقال أبو البقاء : وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له ، وأتقولون استفهام إنكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ، ويحتج بذلك في إبطال التقليد في أصول الدين ، واستدل بها نفاة القياس وإخبار الآحاد . ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين ، فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم .

والذين يفترون على الكذب عام يشمل من نسب إلى الولد ، ومن قال في الله وفي صفاته

قولاً بغير علم وهو داخل في الوعيد بانتفاء الإفلاج ، ولما نفى عنهم الفلاح وكان لهم حظ من إفلاحهم في الدنيا لحظوظ فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل : متاع قليل جواب على تقدير سؤال ، كان قائلاً قال : كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به ، فقيل : ذلك متاع في الدنيا ، أو لهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ، ثم يلقون الشقاء المؤبد في الآخرة . .

2 ({ * } : الضمير في قالوا عائد على من نسب إلى ابن الولد ، ممن قال الملائكة بنات ابن ، أو عزيز ابن ابن ، أو المسيح ابن ابن ، وسبحانه : تنزيهه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك ، هو الغني علة لنفي الولد ، لأنَّ اتخاذ الولد إنما يكون للحاجة إليه ، والله تعالى غير محتاج إلى شيء ، فالولد منتف عنه ، وكل ما في السموات والأرض ملكه فهو غني عن اتخاذ الولد . وأنَّ نافية ، والسلطان الحجة أي : ما عندكم من حجة بهذا القول . قال الحوفي : وبهذا متعلق بمعنى الاستقرار يعني : الذي تعلق به الطرف . وتبعه الزمخشري فقال : الباء حقا أن تتعلق بقوله : إن عندكم على أن يجعل القول مكاناً للسلطان كقولك : ما عندكم بأرضكم نور ، كأنه قيل : إنَّ عندكم فيما تقولون سلطان . وقال أبو البقاء : وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له ، وأقولون استفهام إنكار وتوبيخ لمن اتبع ما لا يعلم ، ويحتج بذلك في إبطال التقليد في أصول الدين ، واستدل بها نفاة القياس وإخبار الآحاد . ولما نفى البرهان عنهم جعلهم غير عالمين ، فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم . والذين يفترون على ابن الكذب عام يشمل من نسب إلى ابن الولد ، ومن قال في ابن وفي صفاته قولاً بغير علم وهو داخل في الوعيد بانتفاء الإفلاج ، ولما نفى عنهم الفلاح وكان لهم حظ من إفلاحهم في الدنيا لحظوظ فيها من مال وجاه وغير ذلك قيل : متاع قليل جواب على تقدير سؤال ، كان قائلاً قال : كيف لا يفلحون وهم في الدنيا مفلحون بأنواع مما يتلذذون به ، فقيل : ذلك متاع في الدنيا ، أو لهم متاع في الدنيا زائل لا بقاء له ، ثم يلقون الشقاء المؤبد في الآخرة . .

({ ثَمَّ } بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَنصَلَكَ فَتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَاءَنَا وَتَكُؤُنَ لَكُمْ مِنَ الْكِبَرِ يَا أَيُّهَا الرَّحْمَنُ مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّتُمْ وَنِعْمْتُنِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَابُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ * فَلَمَّا

أَلْقُوا° قَالَ° مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ° السَّحَرُ° إِنَّ° اللّٰهَ° سَيُطِيلُهُ° إِنَّ°
اللّٰهَ° لَا° يُصْلِحُ° عَمَلَ° الْمُفْسِدِينَ° * وَيُحِقُّ° اللّٰهَ° الْحَقَّ°
بِكَلِمَاتِهِ° وَلَوْ° كَرِهَ° الْمُجْرِمُونَ° * فَمَآ° ءَامَنَ° لِمُوسَى° إِلاَّ° ذُرِّيَّةُ°
مِّنْ° قَوْمِهِ° عَلَى° خَوْفٍ° مِّنْ° فِرْعَوْنَ° وَمَلَأْتِهِمْ° أَن° يَفْتِنَهُمْ° وَإِنَّ°
فِرْعَوْنَ° لَعَالٍ° فِي° الْآسْرِ° رُضٍ° وَإِنَّ° نَسَهُ° لَمِنَ° الْمُسْرِفِينَ° * وَقَالَ° مُوسَى°
يَا° قَوْمِ° إِنَّ° كُنْتُمْ° ءَامِنْتُمْ° بِاللّٰهِ° فَعَلَيْهِ° تَوَكَّلُوا° إِنَّ° كُنْتُمْ°
مُّسْلِمِينَ° * فَقَالُوا° عَلَى° اللّٰهِ° تَوَكَّلْنَا° رَبَّنَا° لاَ° تَجْعَلْنَا°
فِتْنَةً° لِّلْقَوْمِ° الظَّالِمِينَ° * وَنَجِّنَا° بِرَحْمَتِكَ° مِنَ° الْقَوْمِ°
الْكَافِرِينَ° * وَأَوْحَيْنَا° إِلَى° مُوسَى° وَأَخِيهِ° أَن° تَبَوَّءَا° لِقَوْمِكُمَا°
بِمِصْرَ° بُيُوتًا° وَاجْعَلُوا° بُيُوتَكُمْ° قِبْلَةً° وَأَقِيمُوا° الصَّلَاةَ°
وَبَشِّرِ° الْمُؤْمِنِينَ° { } (\$ < 7 !